" أزمة التواصل و الحوار في المجتمعات العربية والإسلامية؟"

www.arabpsynet.com/Documents/DocJ39Absalam2.pdf

الدكتور خالد عبد السلام
قسم علم النفس جامعة سطيف 2
absalam05@yahoo.fr

يلاحظ على تواصلنا الاجتماعي في مختلف الظروف والوضعيات ابتداء من بيوتنا وانتهاء بأماكن عملنا ومدارسنا ومؤسساتنا الرسمية وغير الرسمية وخاصة السياسية منها و في كل خطاباتنا العادية أننا مجتمعات تتحاور كثيرا بالانفعالات والصراخ والحلف باليمين، كأسلوب لفرض الرأي بمختلف الطرق حتى يخيّل للمتتبع أننا في شجار وقتال حول قضايا مصيرية. فلا أحد منا يستمع إلى الأخر، أو يترك له المجال للكلام، ليكمل فكرته فاخترقنا كل قواعد الاتصال لأن الكل يتكلم ويستمع في نفس الوقت.

فلماذا نفتقد إلى ثقافة الحوار؟ وما هي الأسباب والعوامل التي جعلتنا أمة تتوارث هذا للنمط الاتصالي العقيم في حياتنا حتى طغى علينا العنف واللا تسامح والإقصاء للآخر ؟

أننا مجتمعات تتحاور كثيرا بالانفعالات والصراخ والحلف باليمين، كأسلوب لفرض الرأي بمختلف الطرق حتى يخيّل للمتتبع أننا في شجار وقتال حول قضايا مصيرية.

من مظاهر أزمة التواصل والحوار في مجتمعنا الجزائري:

. نتكلم جميعا في نفس الوقت فالكل يتكلم ويستمع في نفس الوقت لكن الإنصات غير موجود بقدر ما نجد كل واحد عندما يتكلم الآخر يفكر فيما سيقوله فقط.

. كل منا يريد الهيمنة والسيطرة في الحديث مع الآخر سواء داخل البيت أو خارجه أو في المدرسة والإدارة وفي كل مكان إلا القليل منا.

. أننا نسعى دائما إلى احتكار الكلمة ونتكلم كثيرا على حساب الآخرين.

. أننا نتكلم أكثر ما نسمع رغم أن الله سبحانه وتعالى خلق لنا أذنين وفم واحد يعني أننا خالفنا قاعدة أساسية في الاتصال وهي الإنصات للآخر.

. وعندما يكلمنا أو يحاورنا غيرنا نجد أنفسنا نفكر في ما سنقوله له أكثر ما ننصت إليه، فلا نبالي بما يقوله لنا أصلا.

. أننا كثيرا ما نوقف محاورنا في وسط كلامه و لا نسمح له بإكمال فكرته ونبني عليه تعاليقنا وأحكامنا بغير ما يريد قصده في كلامه.

. كثيرا ما نقاطع من يتكلم ولا ننتظر دورنا ونبني على أجزاء من الكلام مواقف واتجاهات وتعليقات وأحكاما على حساب حقيقة ما يريد قوله الآخر وهو ما يسبب عدم تفاهمنا في غالب الأحيان.

. و عندما نريد أن يقنع أحدا منا الآخر لا يستعمل الدليل العلمي والحجة والبرهان الفكري المنطقي أو المعلومة بقدر ما يستعمل الصراخ ورفع الصوت عاليا في وجه الآخرين تخويفا وترهيبا تارة أو يلجأ إلى الحلف باليمين لقطع الحديث بأنه يتكلم باليقين.

وفي أحيان أخرى يلجأ الواحد منا إلى المقامرة والمخاطرة، لمن تعود الحقيقة أو من معه الحق

نتكلم جميعا في نفس الوقت فالكل يتكلم ويستمع في نفس الوقت لكن الإنصات غير موجود بقدر ما نجد كل واحد عندما يتكلم الآخر يفكر فيما سيقوله فقط

نقاطع من يتكلم ولا ننتظر دورنا ونبني على أجزاء من الكلام مواقف واتجاهات وتعليقات وأحكاما على حساب حقيقة ما يريد قوله الآخر وهو ما يسبب عدم تفاهمنا في غالب الأحيان

في ما يقول، بدل أن يقبل الواحد منا رأي الآخر ويحترمه من منطلق "رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب" كما قال الإمام الشافعي في مقوله الذهبية.

أسباب غياب ثقافة الحوار:

وما يشد الانتباه أكثر حول تعنتنا في الرأي وعدم الاحترام والاعتراف بآراء ومواقف ومعلومات بعضنا البعض، هي عدة اعتبارات نفسية وثقافية وتربوية من أهمها:

. الاصابة بالنرجسية وحب الذات المبالغ فيه، إلى درجة أن كل واحد منا يعتقد في نفسه أن كلامه هو الأرجح، فعلى الآخرين قبوله دون نقاش.

. الاعتقاد في امتلاك الحقيقة فهو يعرف أكثر من الآخر فلا يقبل أن يناقشه آو يري بغير ما يرى هو، وهي من مظاهر العقلية الفرعونية (وما أريكم إلا ما أرى وما أريكم إلا سبيل الرشاد(سورة غافر أية29). وإن فعل الآخر غير ذلك استهزأ به باستصغاره إما بالسن أو بالمستوى الدراسي و العلمي أو بالمنصب الإداري والسياسي أو القيادي أو بكثرة تنقلاته ورحلاته إلى مختلف المناطق والبلدان، أو يحتقره بالجاه والمال واصفا إياه بأقبح الأوصاف حتى يظهر أمامه بأنه الأعلى مرتبة منه في المجتمع فكلامه يجب أن يقبل ويحترم ليس لمنطقيته وواقعيته بل لتلك الاعتبارات السالفة الذكر.

. أننا مجتمعات نتميز بالاندفاع في الكلام مع شحنة انفعالية و(نرفزة) في وجه من يتواصل معنا داخل البيت وفي الشارع وفي المدرسة وفي كل مؤسسات المجتمع، لأبسط الأشياء.

. كما أن حوارنا وتواصلنا دائما مبنى على منطق الغلبة والسيطرة على الآخر في الكلام وليس على منطق التفاهم وتبادل الآراء والأفكار والمعلومات.

. وتتميز مجتمعاتنا أيضا بضعف المقروئية (أمة لا تقرأ ونسبة الأمية فيها بكل أنواعها مرتفعة بالمقارنة بالمجتمعات المتقدمة مع نوعية تربيتها وتكوينها ضعيف للغاية) لذلك نعاني من نقص في المعلومات والمعارف التي يفترض أن تكون الأدوات الأساسية كحجج وبراهين وسند في أي عملية تواصلية لإقناع الآخر، حيث كثيرا ما نناقش بانطباعاتنا وعواطفنا اتجاه القضايا والأمور والمشكلات.

ذلك أن الإنسان العارف والمثقف واثق من نفسه عند الكلام فيرمز مشاعره وأحاسيسه وقناعاته في الكلمات، أما الأمي و الفقير معرفيا ومعلوماتيا يرمزها بالحركات الجسمية، التي تتجسد في مظاهر عدة كالصراخ في وجه الآخر والحلف باليمين والاستهزاء بالآخر بالحركات ومختلف الأوصاف وأشكال التعبير الجسمي.

. أننا كثيرا ما تسيطر علينا الأحكام المسبقة على بعضنا البعض فيصنف كل واحد

عندما نريد أن يقنع أحدا منا الآخر لا يستعمل الدليل العلمي والحجة والبرهان الفكري المنطقي أو المعلومة بقدر ما يستعمل الصراخ ورفع الصوت عاليا في وجه الآخرين تخويفا وترهيبا تارة أو يلجأ إلى الحلف باليمين لقطع الحديث بأنه يتكلم باليقين.

حوارنا وتواصلنا دائما مبنى على منطق الغلبة والسيطرة على الآخر في الكلام وليس على منطق التفاهم وتبادل الآراء والأفكار والمعلومات.

الإنسان العارف والمثقف واثق من نفسه عند الكلام فيرمز مشاعره وأحاسيسه وقناعاته في الكلمات، أما الأمي و الفقير معرفيا ومعلوماتيا يرمزها بالحركات الجسمية، التي تتجسد في مظاهر عدة كالصراخ في وجه الآخر والحلف باليمين والاستهزاء بالآخر بالحركات ومختلف الأوصاف وأشكال التعبير الجسمي

منا الآخر في خانات وقوالب جاهزة (دينية وفكرية أو إيديولوجية أو عرقية أو مذهبية أو مهنية أو جهوية حسب السياق والموضوع) يفسر بها أقوالنا وآراءنا ومواقفنا، فتؤثر في فهم كل منا للآخر فيتحول حوارنا وحديثنا من حديث حول موضوع إلى حديث حول ذوات بعضنا البعض وعورات ومساوئ كل منا وانتماءاتنا(وهي من معوقات الحوار والتواصل). فيتحول إلى استهزاء بما يعرف واحد منا فنتجادل ونتبادل التهم والشتائم والحركات الاستفزازية كنوع من الهيمنة على الآخر ليرضخ ويقبل بنظرتي وقناعاتي لأعلن انتصاري عليه في الحديث.

تسيطر علينا الأحكام المسبقة على بعضنا البعض فيصنف كل واحد منا الآخر في خانات وقوالب جاهزة (دينية وفكرية أو إيديولوجية أو عرقية أو مذهبية أو مهنية أو جهوية حسب السياق والموضوع) يفسر بها أقوالنا وآراءنا ومواقفنا

. وأننا كثيرا ما يطبع حوارنا الأحادية في الاتجاه، وهو ما يظهر جليا خاصة في بيوتنا مع زوجاتنا وأبنائنا وأقاربنا وفي معاملاتنا كمعلمين وأساتذة ومسؤولين إداريين أو سياسيين على شكل أوامر ونواهي ولوم آو عتاب واستفسارات وتساؤلات، أين كنت ولماذا فعلت؟ تعالى إلى هنا ولا تذهب إلى هناك ولا تفعل كذا وهكذا دواليك.

كيف نؤسس لثقافة الحوار في مجتمعاتنا؟

إن الواقع التواصلي في مجتمعاتنا يستلزم منا إعادة تربية أجيالنا على مبادئ أسس الحوار الفعال والتواصل الجيد المفضي إلى التفاهم. على مستوى المؤسسات التربوية المدارس والجامعات ، والمؤسسات الاعلامية، والمؤسسات الدينية كالمساجد، والمسرح والفن والأدب والدراما وغيرها تعمل بكل قوة ومنهجية بيداغوجية على:

الواقع التواصلي في مجتمعاتنا يستلزم منا إعادة تربية أجيالنا على مبادئ أسس الحوار الفعال والتواصل الجيد المفضي إلى التفاهم. على مستوى المؤسسات التربوية المدارس والجامعات ، والمؤسسات الاعلامية، والمؤسسات الدينية كالمساجد، والمسرح والفن والأدب والدراما وغيرها

1. تبني قناعة راسخة لدى أجيالنا أن الناس يختلفون في الآراء والقناعات طبقا لاختلاف مشاربهم الفكرية و تجارب حياتهم وتاريخهم النفسي ومرجعياتهم الثقافية والاجتماعية والأكاديمية.

2. ترسيخ القناعات لدى أجيالنا بأن كل إنسان يملك الحاجة إلى تأكيد ذاته و إثباتها أمام الآخرين، لذلك نحتاج كلنا إلى احترام وتقدير بعضنا البعض في كل الظروف والوضعيات، و بواسطتها نتقبل الاختلاف و يعترف كل منا بكيان الآخر وبوجوده وخصوصيته وهويته.

الناس يختلفون في الآراء والقناعات طبقا لاختلاف مشاربهم الفكرية و تجارب حياتهم وتاريخهم النفسي ومرجعياتهم الثقافية والاجتماعية والأكاديمية.

3. كما انه يتطلب الأمر أيضا ترسيخ قناعات بأن كل منا ينزعج ويتحرج من كل مظاهر الاستهزاء والاحتقار أو التكبر والتعالي من أي كان حتى ولو كان قريبا منا، فإذا كنا لا نقبل أن يُفعل بنا غيرنا كذلك فلا يحق لنا أن نفكر ممارسة ذلك على الآخرين. وهنا يتأسس ويترسخ مبدأ الاحترام لكرامة بعضنا البعض فنتعود التواصل والحوار والنقاش بالأفكار والحجج والحقائق العلمية والفكرية المنطقية ونتجنب ثقافة التجريح والاتهام الجزافي لبعضنا البعض.

كل إنسان يملك الحاجة إلى تأكيد ذاته و إثباتها أمام الآخرين، لذلك نحتاج كلنا إلى احترام وتقدير بعضنا البعض في كل الظروف والوضعيات

4. ترسيخ الاعتراف بأن كل واحد منا يرى الأمور من وجهة نظره الخاصة. التي تتأثر مواقفه وأحكامه وتفسيره للحياة والمشكلات بعدة عوامل من أهمها:

- بنيته الجسمية وصحته العامة.
- بيئته الأسرية و الاجتماعية.
- ثقافته الخاصة.
- تاريخه النفسي والاجتماعي.
- مرجعاته الفكرية والثقافية.
- تجارب حياته المريرة والحلوة.
- مكانته الاجتماعية.
- نظرته لنفسه وللآخرين.

و عندما نعلم أبناءنا وأجيالنا مثل هذه القيم يمكن أن نحلم بمجتمع ينشد الديمقراطية ويؤمن بالحوار والاختلاف والتعايش السليم مع الآخر.

سطيف في 11 أوت 2013

*** *** ***

المؤتمر الدولي الأول للجمعية المصرية للعلاجات والعمليات الجماعية

First International Conference of the Egyptian Association

*For*Group Therapies and Processes (EAGT)

البرنامج الأولي للمؤتمر وما قبل المؤتمر

النص الإنكليزي:
www.arabpsynet.com/Congress/CongJ39FirstConfEAGT-PrAr.pdf

النص العربي:
www.arabpsynet.com/Congress/CongJ39FirstConfEAGT-PrEng.pdf

فندق موفنبيك، السادس من أكتوبر، محافظة الجيزة، مصر

دورات ما قبل المؤتمر: ٢٤ سبتمبر ٢٠١٣
المؤتمر: من ٢٥ إلى 27 سبتمبر ٢٠١٣
www.eagt2013.com
info@eagt.net

دليل اصدارات الشبكة

دليل المجلة العربية للعلوم النفسية

www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

دليل سلسلة الكتاب الإلكتروني

www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm

دليل الأبحاث والدراسات في العلوم النفسية

www.arabpsynet.com/Archives/OP/IndexPAar.htm

دليل المعجم النفسي العربي

www.arabpsynet.com/HomePage/DictAr3.htm